٣

وقال كثير يمدح عزة وكان يحبها :

١ خليليَّ هذا رَبعُ عزَّة فاعقِــلا قلوصَيكما ثمَّ ابكيا حيثُ حلّتِ
٢ [ومُسّا تراباً كان قد مسَّ جِلدها وبِيتا وظلاَّ حيثُ باتتْ وظلّتِ]
٣ [ولا تيأسا أنْ يمحوَ اللهُ عنكُما ذنوباً إذا صَلّيْتما حيثُ صَلّتِ]
٤ وما كنتُ أدري قبلَ عزّة ما البُكا ولا موجعاتِ القلبِ حتّى تولّتِ

---

١ الزهرة ورواية للقالي : هذا رسم .
٣ القالي : ولا تنسيا .
٤ القالي : ما الهوى ؛ ولا موجعات الحزن .

---

١ الربع : الدار أو موضعها ؛ اعقلا : شدّا واربطا ؛ القلوص : الناقة الفتية ، وقيل هي أول ما يركب من إناث الإبل ؛ ومن رواه « هذا رسم عزة » فالرسم : أثر الدار .

٢ مسَّ جلدها : يعني مسَّ جسمها لأنها كانت هناك تجلس وتنام ؛ ولم يرد هذا البيت في رواية القالي ، وأورده البغدادي في القصيدة نقلاً عن أمالي القالي ؛ فلعله سقط من النسخة المطبوعة .

٣ جعل الصلاة حيث صلت جزءاً من الإلمام بالديار ؛ وفهم بعض الشراح منه أنه يعني المدينة المنورة أو منطقة قريبة منها .

٤ تولت : ذهبت وأعرضت . قال السيوطي في هذا البيت: «استشهد به المصنف في التوضيح على نصب « موجعات » عطفاً على محل مفعول « أدري » المعلق بالاستفهام ، لأن المعلق أبطل عليه لفظاً لا محلاً » (شرح شواهد المغني : ٢٧٥) وقال البغدادي في الخزانة (٢ : ٣٧٨) : ولك أن تدعي أن البكاء مفعول به وأن ما زائدة ، أو أن الأصل : « ولا أدري موجعات » فيكون من عطف الجمل أو أن الواو للحال ، وموجعات اسم لا ، أي : وما كنت أدري قبل عزة – والحالة أنّه لا موجعات للقلب موجودة – ما البكا .

٥ وما أنصفتْ أما النساء فَبَغّضَتْ إلينا وأمّا بالنوالِ فَضَنّتِ
٦ فقد حلَفَتْ جَهْداً بما نحرَتْ له قرَيشٌ غداة المأزِمَيْنِ وصَلّتِ
٧ أُناديك ما حجَّ الحجيجُ وكبَّرَتْ بفَيفاءِ آلٍ رُفقةٌ وأهَلّتِ
٨ [وما كبّرَت مِن فوق رُكبةَ رُفقة ومِن ذي غزالٍ أشعرَتْ واستهلّتِ]

٥ القالي : إليّ .
٦ القالي والبكري : وقد حلفت .
٧ القالي وياقوت : بفيفا غزال ؛ الحازمي : بفيف غزال .

٥ أنصفت : عدلت ؛ ضنت : بخلت ؛ النوال : العطاء . وفي قوله : أما النساءُ فبغضت حذف للمفعول أي فبغضتهن .
٦ حلفت جهداً : بالغت في يمينها ، قال تعالى « أقسموا بالله جهد أيمانهم » ، والجهد – بفتح الجيم – : المبالغة والغاية ؛ والمأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرنة .
٧ أناديك : قال أبو علي القالي : أُناديك : أجالسك ، وهو مأخوذ من الندي والنادي جميعاً وهما المجلس . ما حجَّ : ما مصدرية زمانية ، أي حلفت أنها لا تجالسه ما دام الحجيج (جمع حاج) يقومون بشعائر الحج ؛ وفي رواية « بفيفا غزال » وهي موضع بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح ، والأبطح بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب قليلاً ، وقال الأصفهاني (٤١٤) : ثنية غزال بين مكة والمدينة ولا يقال « فيفا غزال » . أهلت : عجّت بالتلبية ، رافعة بها أصواتها .
٨ ركبة – بضم الراء – : واد بين مكة والطائف ، وقيل ركبة : جبل بالحجاز . ذو غزال : موضع بناحية عسفان ، وعسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقال الحازمي : غزال ثنية عسفان ، وقال الكندي : واد بين هرشى والجحفة ، واستشهد الحازمي بالبيت السابع . أشعرت : اتخذت شعاراً ؛ استهلت : رفعت الصوت بالإهلال .

٩ وكانت لقطعِ الحبل بيْني وبينها كناذِرةٍ نذراً وفتْ فأحلّتِ

١٠ فقُلتُ لها يا عزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلّتِ

١١ ولم يلْق إنسانٌ من الحُبّ ميعةً تَعُمُّ ولا عَمياءَ إلاّ تجلّتِ

١٢ فإن سألَ الواشونَ فيمَ صرمْتَها فقُل نفسُ حرّ سُلّيت فتسلّتِ

١٣ كأنّي أُناديصخرة حينَ أعرضَتْ من الصّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زلّتِ

---

٩ القالي : فأدفت وحلت .

١٠ الكامل والخزانة (٤ : ٣٢٨) : أقول لها ؛ معجم المرزباني : وقلت لها ؛ الخزانة وبعض روايات القالي : إذا وطئت .

١٢ القالي : هجرتها .

١٣ الموشح : أناجي .

---

٩ أي أنها لإجراء هذا الحلف تمسكت بأن لا تجالسه ولا تواصله فكان فعلها فعل امرأة نذرت نذراً أوجبته على نفسها ، ثم استوفت المدة المضروبة للنذر فأحلت : أي خرجت من الميثاق الذي ارتبطت به (وقال القالي ويروى : وفت فأحلت ، فأثبت الروايتين وثانيتهما « فأوفت فحلت ») . وعندئذ جاز لها أن تكلمه فقال لها : يا عز . . . الخ .

١٠ ابن جني : كل ملمة . توطين النفس على الشيء كالتمهيد له ؛ قال ابن سيده : وطّن نفسه على الشيء فتوطنت له حملها عليه فتحملت وذلت له ؛ ونظير هذا البيت قول ضابىء بن الحارث البرجمي :

ولا خيرَ في من لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

وقد قال النقاد : لو أن كثيراً قال هذا المعنى في صفة الحرب لكان أجود (انظر الخزانة ٤ : ٣٢٨) .

١١ ميعة كل شيء أوله ، ويروى : منعة ومتعة ؛ تعم : تشمل ، ويروى : تغمّ ؛ العمياء : الجهالة ؛ تجلت : انفرجت وظهرت .

١٢ هذا البيت آخر القصيدة في رواية القالي . صرمتها : هجرتها ؛ تسلّت : تكلفت السلوان .

١٣ أعرضت : صدّت ؛ الصمّ : جمع صماء وهي الصخرة الصلبة ؛ العصم : جمع أعصم =

١٤ صفوحٌ فما تلقاكَ إلاَّ بخيلَــةً   فمن ملَّ منها ذلك الوَصل ملّتِ
١٥ أباحتْ حِمىً لم يرعَه النّاس قبلها   وحلّتْ تلاعاً لم تكُن قبل حُلّتِ
١٦ فليتَ قلوصي عند عزّةَ قُيّدت   بحبلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فضَلّتِ
١٧ وغودر في الحي المُقيمينَ رحلها   وكانَ لهــا باغٍ سوايَ فبلّتِ

---

١٤ القالي والخزانة والتاج : صفوحاً ؛ الحصري : غضوباً .
١٦ الخزانة : عزّ منها .

= وعصماء وهو من الوعول ما في ذراعيه بياض ؛ والعصم تحسن السير والقفز فوق الصخور ، أما هذه الصخرة التي يصفها فإن العصم تزل عليها ، فهي شديدة الملاسة ، ومن ثمّ فهي شديدة الصلابة .

١٤ من رواه « صفوح » قدر أن يكون « هي صفوح » وبالنصب على تقدير : « كأني أنادي صفوحاً » ، والصفوح : المعرضة الهاجرة ؛ من : شرطية ؛ ذلك الوصل : لا وصل هناك وإنّما سمّي هذا النوع من البخل الشديد وصلاً ، لأنها لا تجود بغيره .

١٥ أباح : أحلّ وسمح به ؛ الحمى : الأرض التي يحمى كلأها فلا يرعاها غير صاحبها ؛ وهو أيضاً رحبة حول الصنم لا يجوز دخولها إلا لمن أتمّ شروط الطهارة وما أشبه ، وذلك على التشبيه ، أي أن ما أباحته من نفسه يشبه الحمى الذي لا يستطيع غيرها أن يبيحه ؛ والتلاع : جمع تلعة وهي مرتفع يجري منه الماء إلى بطون الأرض ؛ يعني قد حلت من نفسه محلاً عزيزاً لم يتح لغيرها أن يحلّه .

١٦ غرّ منها : عقد على غرّة يريد الحبل ؛ ويروى « حزّ منها » أي قطع منها ، ويروى « عزّ منها » أي غلبها . يتمنى لو أنّ ناقته ربطت بحبل ضعيف أُتيح له أن ينقطع ، فتهيم ضالة على وجهها ؛ ولعله أراد أن يجد عذراً للبقاء إذا فقد ناقته .

١٧ يعني : ليت تلك الناقة ضلت وبقي رحلها ، وذهب غيري ينشدها ، فبلّت أي ذهبت ولم يعثر عليها أحد ؛ قال القالي : وما أعرف (بلت : ذهبت) إلا في تفسير هذا البيت ؛ وفي اللسان : بلت مطيته على وجهها إذا هامت ضالة أي ذهبت على وجهها في الأرض .

١٨ وكنت كذي رجلين رِجلٍ صحيحةٍ ورِجلٍ رَمى فيها الزّمانُ فشَلّتِ
١٩ وكنتُ كذاتِ الظّلعِ لمّا تحاملتْ على ظَلْعها بعد العثارِ اسْتقلّتِ
٢٠ أُريدُ الثّواء عِنْدها وَأظُنّها إذا ما أطلنا عِندها المُكثَ ملّتِ
٢١ يُكلّفها الخنزيرُ شتمي وما بها هواني ولكنْ للمليكِ استذلّتِ

٢١ القالي والخزانة : الغيران .

١٨ وكنت : يريد وليتني كنت ، ولهذا جرى كلامه على تمام التمني ؛ ولهذا قال الأعلم في تفسيره للبيت : « تمنى أن تشلّ إحدى رجليه وهو عندها حتى لا يرحل عنها » ، وفهمه ابن سيده على الاستئناف فقال : « لما خانته عزة العهد وتولت عن عهده وثبت على عهدها صار كذي رجلين رجل صحيحة وهو ثباته ، وأخرى مريضة وهو زللها » ؛ وعلى هذا تكون « وكنت » بمعنى « وصرت » . وقال عبد الدائم : معنى البيت أنّه بين خوف ورجاء وقرب وتناء ، وقال بعضهم : تمنى أن يضيّع قلوصه فيبقى في حيّ عزة فيكون ببقائه في حيها كذي رجل صحيحة ، ويكون في فقد قلوصه كذي رجل عليلة ، قال ابن هشام اللخمي : وهذا القول هو المختار المعوّل عليه ، وهو الذي يدلّ عليه ما قبل البيت . وأكّد أبو حيان التوحيدي أن الشين من شلّت لا بد أن تكون مفتوحة (مع أنها شكلت بالضم في نسخة منتهى الطلب) قال : ولقد غلط فيها مرة مسكويه وكابر إلى أن فضحته المحنة (البصائر ٢ : ٥٣٠) والبيت عند النحويين فيه شاهد على بدل المفصل من المجمل : (كذي رجلين رجل صحيحة ورجل . .) وقال البغدادي ويروى بالرفع على أنه بدل مقطوع ، أنشده سيبويه في باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل منه (انظر سيبويه ١ : ٢١٥) ؛ (والتقدير على الرفع هما رجلٌ صحيحة ورجلٌ رمى . . .) ؛ وذكر ابن رشيق (٢ : ٢٢٠) أن البيت مهتدم من قول النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

١٩ الظلع : العرج ؛ تحاملت : تكلفت المشي بمشقة ؛ استقلت : ارتحلت .

٢٠ الثواء – بفتح الثاء – الإقامة ؛ وقد عبّر في هذا البيت عن كلّ ما تمنى ، وما خالط أمنيته في الأبيات السابقة ، ثم رجع إلى نفسه ، فشعر أن عزة ملول إذا أطيل عندها المكث .

٢١ الخنزير : كلمة سبّ لزوج عزّة ، والبيت فيما يروى يتصل بقصة مجملها أنّ زوج عزة =

٢٢ هَنيئاً مريئاً غيرَ داء مخامرٍ لعزَّة من أعراضِنا ما اسْتحلّتِ
٢٣ ووالله ما قاربْتُ إلاّ تباعدتْ بصرْمٍ ولا أكثرْتُ إلاّ أقلّتِ
٢٤ ولي زَفراتٌ لو يَدُمنَ قتَلْنَني توالي التي تأتي المُنى قد تولّتِ
٢٥ وكنّا سلكْنا في صَعودٍ من الهوى فلمّا توافينا ثبَتُّ وزلّتِ
٢٦ وكنّا عَقَدنا عُقدةَ الوصلِ بيننا فلمّا تواثقنا شددتُ وحلّتِ
٢٧ فإن تكنِ العتبى فأهلاً ومرحباً وحَقّتْ لها العُتبى لدينْا وقلّتِ
٢٨ وإن تكن الأخرى فإنّ وَراءنا بلاداً إذا كلفتُها العيسَ كلّتِ

٢٣ القالي والخزانة : فوالله .
٢٨ القالي : مناحح لو سارت بها .

= مرّ بكثير وهو ينشد وحوله جماعة قد أحدقوا به ، فقال لها : لتقولِنّ له كذا ، فشتمته نزولاً على إرادة زوجها ؛ وفي رواية الأمالي « الغيران » أي الشديد الغيرة ، مع أن البكري في السمط رواه « يكلفها الخنزير » ثم علق بقوله : وعن غير أبي عليّ يروى يكلفها الغيران ، وهو الصحيح . فكأن رواية أبي عليّ في الأصل : يكلفها الخنزير . استذلت : خضعت واستكانت ، والمليك أي مالكها وصاحبها .

٢٢ هنيئاً مريئاً قدر فيه النصب : « ثبت لك هنيئاً » فيكون منصوباً على الحال ، ويجوز أن تقدر تعيش عيشاً هنيئاً فيكون صفة لمصدر محذوف . مخامر : مخالط . والعبارة : هنيئاً مريئاً لعزة ما استحلته من أعراضنا — إلا أن يكون داء مخامراً — . وقيل لكثير : أنت أشعر أم جميل ؟ فقال : أنا أشعر ، جميل يقول :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح

وأنا أقول : هنيئاً مريئاً . . . البيت (انظر الخزانة ٣ : ٩٤ والسمط : ٧٣٥)

٢٧ العتبى : الرضى ؛ قال أبو علي : والعتبى الإعتاب ، يقال عاتبني فأعتبته إذا نزعت عما عاتبك عليه ، وقلّت : أي هو يستقل الرضى في جانبها .

٢٨ الأخرى : ما عدا العتبى ؛ وفي رواية القالي « مناحح لو سارت بها العيس » ؛ والمناحح : =

٢٩ خليليَّ إن الحاجِبيّةَ طلّحتْ قلوصيكُما وناقتي قد أكلّتِ

٣٠ فلا يبعدنْ وصلٌ لعزَّة أصبحت بعاقبةٍ أسبابه قد تولّتِ

٣١ أسيئي بِنا أو أحسني لا ملومةً لدينا ولا مقليّةً إن تقلّتِ

٣٢ ولكن أنيلي واذكري من مودَّةٍ لنا خُلّةً كانت لديكمْ فضلّتِ

٣٣ وإنّي وإن صدَّتْ لمُثنٍ وصادقٌ عليها بما كانت إلينا أزلّتِ

---

٢٩ العيني والخزانة : أطلت .

٣٠ الخزانة : لعاقبة .

٣٢ الخزانة : ولكن أميلي ؛ القالي : فطلت .

٣٣ القالي : فإنّي .

= المفاوز و السباسب ، مفرده مندوحة وهي الأرض الواسعة البعيدة ، وورد : مناوح ولا أراه إلا تصحيفاً ؛ والعيس : الإبل البيض ؛ كلت : أعيت وتعبت من السير .

٢٩ الحاجبية : نسبة إلى جدها الأعلى وهو حاجب بن غفار ، وأخطأ العيني فظن أن الحاجبية رمل طويل وتعقبه البغدادي وغيره . طلحت : أتعبت ، وكذلك أكلّت .

٣٠ بعاقبة : بأخرة ، في آخر الأمر ؛ الأسباب : الحبال ، أي أن ذلك الوصل قد انقطعت علائقه بأخرة .

٣١ اسيئي بنا : قال ابن سيده (المحكم ٣ : ١٤٤) : لفظه لفظ الأمر ومعناه الشرط ، لأنه لم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها . . . ومعنى قوله أسيئي بنا : قولي ما أسوأه ، ما أقبحه ، أو قولي ما أحسنه . وفي البيت التفات من الخطاب إلى الغيبة في (تقلتِ) ؛ وأصله « تقليتِ » وفي رواية « وأسماء لا مشنوعة بملالة » وهو صدر بيت من قصيدة سابقة وليس من هذه القصيدة .

٣٢ الخلة : المودة والصداقة ؛ فضلّت : نسيت ومطلت ، ومن رواه فطلت فمعناه هدرت وذهبت باطلاً .

٣٣ أزلّ إليه نعمة : أسداها ؛ وقال أبو علي أزلت : اصطنعت ؛ قال الجواليقي في شرح =

٣٤ فما أنا بالدّاعي لعزّةَ بالردى   ولا شامتٍ إن نعلُ عزّةَ زلّتِ
٣٥ فلا يحسبِ الواشونَ أنّ صبابتي   بعزّة كانتْ غمرةً فتجلّتِ
٣٦ فأصبحتُ قد أبللتُ من دَنفٍ بها   كما أُدْنفتْ هيماءُ ثمّ استْبلّتِ
٣٧ فوالله ثمّ اللهِ لا حلّ بعدها   ولا قبلها مِن خُلّةٍ حيثُ حلّتِ
٣٨ وما مرّ مِن يومٍ عليّ كيومِها   وإن عظمتْ أيامُ أُخرى وجلّتِ
٣٩ وحلّت بأعْلى شاهقٍ من فؤاده   فلا القلب يسلاها ولا النّفسُ ملّتِ

---

٣٤ القالي والخزانة : بالجوى .

٣٦ الخزانة : من مدنف ؛ اللسان : وانّي قد .

٣٧ القالي والخزانة : ما حل قبلها ولا بعدها .

٣٨ الخزانة : أمام أخرى .

٣٩ القالي والخزانة : فأضحت . . . ولا العين .

= البيت (٢٨١) : يقول : أنا معترف بما أحسنت إليّ واصطنعته عندي من الجميل لا أكفره وإن أعرضت عني وهجرتني ؛ وقد اعترض الشرط بين اسم إن وخبرها فسدّ مسدّ الجواب .

٣٤ زلّت به النعل : كناية عن العثار والخطأ ؛ والردى : الهلاك ، وفي رواية « الجوى » ومعناه المرض الدخيل أو السلّ .

٣٥ الواشون : الماشون بالنميمة ؛ الغمرة : شدة الشيء .

٣٦ استبلّ مثل بلّ من المرض إذا برأ منه . أدنفت : أصابها الدنف وهو المرض ؛ والهيام : داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض ولا ترعى .

٣٨ أخرى : يعني امرأة أخرى .

٣٩ يسلاها : ينساها ويطيب نفساً عنها ؛ وقد ورد البيت عند السيوطي وشرح شواهد الكشاف :

وللعين أسراب إذا ما ذكرتها   وللقلب وسواس إذا العين ملّت

وقد ورد كذلك عند القالي (١ : ٦٥) ونسب هذا البيت للمجنون (مصارع العشاق ٢ : ٩١) .

٤٠ فواعجبا للقلبِ كيف اعترافُـهُ ... وللنّفس لمّا وُطِّنت فاطمأنّتِ

٤١ وإنّي وتَهيامي بعَزَّة بعْدمـا ... تخلّيت مِمّا بيْننا وتخلّتِ

٤٢ لكالمُرتجي ظِلّ الغمامةِ كُلّما ... تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ

٤٣ كأنّي وإياهـا سحابةُ مُمحِلٍ ... رجاها فلمّا جاوزتْه استهلّتِ

---

٤٠ القالي والخزانة : فيا عجبا . . . كيف ذلّت .

٤٢ الأزمنة : كساع إلى ظل الغيابة يبتغي مقيلاً فلما أن أتاها . . .

---

٤٠ اعترافه : قال أبو علي : اعترافه : اصطباره ؛ يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفاً أي صبوراً ، والعارف : الصابر .

٤١ التهيام – بفتح أوله – مصدر للمبالغة من الهيام ؛ تخليت : تركت ؛ وخبر إن في البيت التالي . قال ابن جني : « وسألته (يعني أبا علي الفارسي) عن بيت كثير « وإنّي وتَهيامي . . . » فأجاز أن يكون قوله وتَهيامي جملة من مبتدإ وخبر اعترض بها بين اسم إن وخبرها الذي هو قوله : لكالمرتجي ظلّ الغمامة . . . فقلت له : أيجوز أن يكون وتَهيامي بعزة قسماً ؟ فأجاز ذلك ولم يدفعه » .

٤٢ لكالمرتجي : خبر إنّ في البيت السابق ؛ تبوأ : أقام في المكان ؛ وفي رواية « الغيابة » وهي ظلّ السحابة ؛ ولغة الكلابيين : امضحلت بدلاً من اضمحلت .

٤٣ سحابة ممحل : سحابة بلد ممحل أي مجدب ؛ استهلت : بدأت إرسال المطر ، شبه نفسه بالبلد الممحل وصاحبته بالسحابة .